(١٢) خطبة له ﷺ بمِنًى

خطب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالخيف من منى، فقال:

«نَضَّرَ[١] اللهُ عَبْداً سمعَ مَقالتى فوَعَاها ثم أدَّاها إلى مَنْ لم يَسمعْها، فرُبَّ حاملِ فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقَهُ منه. ثلاثٌ لا يغلُّ[٢] عليهنَّ قلبُ امرئٍ مسلمٍ: إخلاصُ العملِ لله، والنُّصْحُ لأئمَّةِ المسلمينَ، ولزومُ جَماعتهم. فإنَّ دعوتهم تَحوطُ مِنْ ورائِهم».

(أخرجه أحمد، وابن ماجه، والحاكم عن جبير بن مطعم، وأبو داود، وابن ماجه عن زيد بن ثابت، وذكره القاضى أبو بكر الباقلانى فى كتابه «إعجاز القرآن» عن زيد بن ثابت، وزاد:

«ومَنْ كان هَمُّه الآخرة، جَمَعَ الله شَمْلَه، وجعلَ غِناه فى قلبِه، وأتتهُ الدُّنيا وَهِىَ رَاغِمة، ومَنْ كانَ هَمُّه الدُّنيا، فرَّقَ الله أَمْرَه، وجعلَ فَقْرَهُ بينَ عينيهِ، ولم يأتهِ مِنَ الدُّنيا إلا ما كُتِبَ له»).

فى هذه الخطبة العظيمة - كما قرأنا - وفى أولها: يدعو النبى ﷺ بالنضارة والحسن لمن سمع مقالته فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، ثم يقول:

---

(١) من النضرة والنضارة، وهى الحُسن.

(٢) أى: لا يحقد عليهن.

« فرُبَّ حاملِ فقهٍ غيرُ فقيه ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه».

وهذه إشارة إلى فضل العبد الموفق الذى يستمع إلى هدى الرسول ﷺ بقلبه، بل وبكل حواسه، ثم يؤدى هذا الهدى المحمدى إلى من لم يسمعه: وهذا عمل عظيم من أعظم الأعمال التى يجب علينا أن نحرص عليها ونفوز بثوابها، بالإضافة إلى تحصيل هذا العلم النافع الذى بدونه سنتخبط فى ظلمات الجهل وسننقاد إلى الخرافات والأوهام.

وحسبنا هنا أن نذكّر بهذا الحديث الشريف الذى روى عن أبى أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال:

«فَضْلُ العَالِمِ على العابِدِ كفَضْلِى عَلَى أدْنَاكُم».

ثم قال رسول الله ﷺ:

« إنَّ الله ومَلائكتَهُ وأهلَ السَّموات والأرض ـ حتَّى النَّملةِ فى جُحرِها وحتَّى الحوتِ ـ لَيصلُّون علَى معلِّمى النَّاسِ الخيرَ».

(رواه الترمذى وقال: حديث حسن)

وإذا كان الرسول ﷺ قد قال فى الخطبة: « فرُبَّ حاملِ فقهٍ غيرُ فقيه ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه»: فالمعنى ـ والله أعلم ـ هو أن هناك من يحمل العلم ومثله فى ذلك: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ

﴿أَسْفَارًا﴾[1] وهناك من يحمل فقهاً إلى من هو أفقه منه، وهذا هو ما أشار إليه الرسول ﷺ في قوله: «رُبَّ مُبلَّغ أوعَى مِنْ سَامِع»[2].

ثم إذا كان الرسول ﷺ قد ختم خطبته هذه بقوله:

« ثلاثٌ لا يغلُّ عليهنَّ قلبُ امرئ مسلم: إخلاصُ العملِ لله، والنُّصح لأئمة المسلمينَ، ولزومُ جَماعَتهم ».

فإنني أرجو أن نكون من الفائزين بهذه الثلاثة حتى لا يغلَّ علينا قلب امرئ مسلم.

ولا سيَّما بالنسبة للإخلاص في العمل لله، لأن الإخلاص هو السبيل الوحيد إلى قبول الأعمال عند الله تبارك وتعالى، وهو سر بين العبد وربه، وهو ما لا يكتبه الملكان، ولا يفسده الشيطان، ولا يطّلع عليه الإنسان.

* * *

(١) سورة الجمعة: ٥

(٢) جزء من حديث رواه أبو داود، والترمذي، وابن حبان في صحيحه.